بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

- ١ -

(المدخل)

إن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للمسلمين اليوم ، وإنْ بلغ أهلُ السنة أضعافَ الشيعة عَددا ، وإن أضر شيء في الأمة الواحدة هو العصبية الموروثة والتفرق الذميم ، « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً لست منهم في شيء » .

وقد كان ينبغي على كل مَن يدّعي الحب والولاء للإمام عليّ (عليه السلام) أن يأخذ بأدبه وهَدْيه ، ويقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه ، وها هي ذي أقواله وأعماله في « نهج البلاغة » وغيره .

لقد بايع علي للأئمة الثلاثة من قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده ، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، طبقاً لما أخبر به جدّه الصادق الأمين ، عليه وآله الصلاة والتسليم . في (نهج البلاغة) أنّ علياً سُئل عن الخوارج : أكفار هم ؟ قال : من الكفر فَرُّوا ! قيل أفمنافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلاّ قليلاً ، ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كُسالى ، قيل فما هم ؟ قال : قوم بغَوا علينا فقاتلونا وقاتلناهم . وفي (نهج البلاغة) أيضاً أنه قال ـ وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين ـ : إني لأكره أن تكونوا سبّابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتُم حالهم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قلت : ومعلوم من حال أهل السنة أنهم يقصون ما جرى بين الصحابة (رضي الله عنهم) ويصفون أعمالهم ، ويذكرون حالهم ، ولكنهم يؤولون التشاجر بينهم تأدباً معهم واحتراماً لصحبتهم ، وحفظاً لكرامتهم ، ولحسن بلائهم في نشر الدعوة الإسلامية . على أنه قد انقضت عصور الأمويين والعباسيين ، وأصحاب الجمل والنهروان وصفّين ، وحسابنا وحسابهم على ربّ العالمين :

وليس بضائري ما قد أتوه إذا ما الله أصلح ما لديّه

وقد كنت قرأت كتاب (أوائل المقالات) للشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ) ومعه شرح عقائد شيخه ابن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (م ٣٨١ هـ) فرأيت فيهما بعض ما في غيرهما ـ كالكافي والتهذيب والوافي ـ من الأحكام الصادرة : باللعن والتكفير والتخليد في النار ، لمن أورثوهم الأرض والديار !! قلت : لا شكّ أنّ هذه الكتب تورث قراءها وَغَراً وحقداً ، وعِداءً وبغضاً ، وتنطق ألسنتهم بأفحش القول وأوحشه ، لرجال الصدر الأول فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة ، وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنصّ القرآن ، ولم نر انتقاداً ولا اعتراضاً على الكتابين الأوّلين ممن صحّحوهما ، وهم ثلة من أشهر مجتهدي الشيعة في عصرنا . بل رأينا حركة الطبع والنشر قد قويت في العراق وإيران والشام ، وصدرت منها كتب كثيرة ، في هذه الأعوام الأخيرة ، وكلّها ردود على السنّيين ، وزراية على أهل المفاخر والمآثر في الإسلام ، وهي لا تعدو أمّهات المسائل التاريخية التي وقعت في الصدر الأول والأحداث التي تلتها .

ولمّا كانت هذه الوقائع قد أحاط بها خُبرا شيخ الشيعة الإمامية في عصره ابن المطهر الحلي (م ٧٢٦) في مؤلّفه الذي سمّاه (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) وأجابه عنها واحدة فواحدة إمام السنة أحمد بن تيمية (م ٧٢٨) في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ردّه (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقَدرية) في أربعة أجزاء، جاء الحافظ الذهبي (م ٧٤٨) واختصره بكتاب سماه (المنتقَى) وقد حقّقه وعلق حواشيَه ووقف على طبعه الكاتب الكبير السيد محب الدين الخطيب، (طُبع سنة ١٣٧٤ هـ). وقد أُهديت منه نُسَخ الى المجمع العلمي بدمشق، ولبعض الفضلاء، والمهدي هو الأستاذ السلفيّ الشهير الشيخ محمد نصيف عين أعيان الحجاز، كما أهدي الى المجمع العلمي وبعض أعضائه من كتب الشيعة أيضاً، ومنهم كاتب هذه السطور، وقد وصفنا بعضها في باب «التعريف والنقد) من مجلة المجمع.

ونصف الآن كتاب (المنتقى) الذي يقع في مجلد ضخم يقرب من ستمائة صفحة بالقطع المتوسط، وهو يشتمل على فصول كثيرة في إمامة الخلفاء الراشدين، وما ظهر على أيديهم من الخير العظيم. ومجمل القول: إنّ ابن المطهّر ينفي الخصائص، ويثبت النقائص، للخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) ويتعقبه ابن تيمية فيثبت العكس، وهما إماما السنة والشيعة في عصرهما، وقد كتبَ من جاء بعدهما في موضوع الإمامة الكبرى، ولكن الحملة قد اشتدت في هذا الزمن العصيب على السنيين، وان اختلفت كتب الشيعة وردودهم في الأسلوب قوة وضعفا، وقسوة ولينا.

ولمّا كانت مجلة مجمعنا العلميّ تعنى بنشر حقائق التاريخ، مصفّاة من الشوائب، بعيدة عن عصبية المذاهب، مسجلة ما يجب تسجيله من الوقائع والحوادث، لا سيما ما كان بأقلام الأعلام - رأينا أن نثبت فيها شذرات من هذا الحوار، موردة بغاية الاختصار، مغنية عن قراءة هذه الكتب التي ظهرت وستظهر في أمر الخلافة العظمى، وما جرى بين الصحابة الكرام في شأنها، وقد افتتن الناس بها، وتعادَوا من أجلها هذه القرون الطويلة، ولتكن أجوبة الإمام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن تيمية التي أوجزناها وأجملناها هنا بالكلام الوجيز كما ستراها ـ جواباً من كل سنيّ ، وجعلنا كلّ ما نقلناه عن الأستاذ (الخطيب) بين قوسين . ونبدأ القول بايراد فصل عقده كتاب (المنتقى) في تقديم الخلفاء الأربعة بترتيبهم الزمني ، سلك فيه الإمام ابن تيمية طريقة المعقول ، الموافقة لصريح المنقول قال[1] (رحمه الله تعالى) :

(فصل) وهنا طريق يمكن سلوكها لمن له معرفة بالأخبار ، فانّ كثيراً من العلماء يتعذر عليهم التمييز بين الصدق والكذب من جهة الإسناد ، وإنما ينهض بذلك جهابذة الحفاظ : نُقدّر أن الأخبار المتنازع فيها لم تكن ، فنرجع الى ما هو معلوم بالتواتر ، أو بالعقل والعادات ، أو ما دلت عليه النصوص المتفق عليها فنقول : من المتواتر أن أبا بكر لم يطلب الخلافة برغبة ولا برهبة ، فلا بذل فيها مالا ، ولا شهر عليها سيفا ، ولا كانت له عشيرة ضخمة ولا عدد من الموالي تقوم بنصره كما جرت عادة طلاب الملك ، بل ولا قال : بايعوني ، وانما أشار ببيعة عمر أو ببيعة أبي عبيدة ، ثم من تخلّف عن مبايعته لم يؤذه ولا أكرهه عليها كسعد بن عبادة . ثم الذين بايعوه طائعين ، هم الذين بايعوا رسول الله (ﷺ) تحت الشجرة ، الذين رضى الله عنهم ، فقاتل بهم المرتدّين ، وفارس والروم ، وثبّت بهم الإسلام وأهله ، ولا أكل منها ولا لبس إلاّ كعادته وعيشه ، فلما جاءه اليقين ، خرج منها أزهد مما دخل فيها ، ولم يستأثر فيها بشيء عنهم ، ولا آثر بها قرابته ، بل نظر الى أفضلهم في نفسه فولاّه عليهم (وهو عمر رضي الله عنه) فأطاعوه كلّهم ففتح الأمصار ، وقهر الكفّار ، وأذلّ أهل النفاق ، وبسط العدل ، ووضع الديوان والعطاء ، لازماً لعيش من قبله في مأكله ومشربه وملبسه ، حتى خرج منها شهيداً لم يتلوث لهم بمال ،

(١) (ص ٤٨٢) من المنتقى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا ولّى أحداً من أقاربه ولاية ، هذا أمر يعرفه من يعرف وينصف . ثم بايعوا عثمان كلهم طوعاً منهم ، فسار ، وبنى على أمر قد استقر قبله ، بسكينة وحلم ، وهدى ورحمة ، وكرم ولين ، لكن لم تكن فيه قوة عمر ، ولا سياسته التي بهرت العقول ، ولا كمال عدله الذي ملأ الوجود ، ولا فرط زهده الذي ما ينكره إلاّ جاهل . فطمع فيه الناس بعض الطمع ، وتوسّعوا في الدنيا ، وكثرت عليهم الأموال ، ودخل - بسبب توليته أقاربه - عليه الداخل ، وأنكرت منه أمور ما اعتادها الناس قبله ، وتولّد من رغبة بعض الناس في الدنيا - وضعف خوفهم من الله تعالى ، ومنه ومن ضعفه هو ، بالنسبة إلى كمال الذين قبله ، ومما حصل من أقاربه في الولاية والمال ، - ما استحكم به الشرّ ، وحرك الفتنة ، حتى قتل مظلوماً ، وذبحوه صبرا .

فتولّى علي رضي الله عنه والفتنة قائمة ، واتّهم بالتخلي عن عثمان حتى قُتل ، وبعضهم اتهمه بدمه ، والله يعلم براءته من دمه : ثبت عنه أنه لم يرض بقتله ولا أعان عليه ، فلم تصفُ قلوب كثير منهم ، ولا أمكنه هو قهرهم حتى يطيعوه ، ولا اقتضى رأيه الكفّ عن القتال حتى ينظر ما يؤول اليه أمره كما أشار عليه ولده الحسن .

فظنّ أن الطاعة تحصل ، والأمة تجتمع بالقتال ، فما زاد الأمر إلاّ شدة وافتراقاً ، حتى خرج عليه من جنده ألوف ومرقوا ، وكفّروه وقاتلوه فقاتلهم الله ، حتى كان في آخر أمره يطلب هو الكفّ عن قتال من لم يطعه ، فكان آخر الخلفاء الراشدين الذين ولايتهم خلافة النبوة .

ثم آل الأمر الى معاوية أول الملوك كما قال عليه الصلاة والسلام « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً » وسيرة معاوية من أجود سِيَر الملوك بالنسبة » اهـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذه فلسفة عقلية للامام ابن تيمية في شأن الخلافة الإسلامية ، وتولية الخلفاء الراشدين الأربعة ، وقد جاءت طبيعية كما ترى . ومن هنا نبتدئ بذكر نماذج من الحوار الذي دار بين ابن المطهر وابن تيمية ، جاعلاً إياه على طريق السؤال والجواب ، مجرداً عن التنابز بالألقاب ، لتتجلى شمس الحقيقة للناظرين ، لا يغشاها حجاب ولا سحاب ، ونرمز للأول بحرف الميم ، وللثاني بحرف التاء .

(ابن المطهر) : «إن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... أخذوا دينهم عن المعصومين ، وغيرهم اختلفوا ، وتعددت آراؤهم وأهواؤهم ، فمنهم من طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وتابعه أكثر الناس طلباً للدنيا» .

(ابن تيمية) : هذا الصنف هو أشرف الأمة ، وقد قال سبحانه في شأنهم : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» الآية . فوعدهم الاستخلاف ، وأخبر برضاه عنهم ، وبأنهم متقون ، وبأنه أنزل السكينة عليهم . وهذه النعوت منطبقة على الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، فانه إذ ذاك الزمان حصل لهم الاستخلاف ، وتمكين الدين والأمن بعد الخوف ، الى أن قهروا فارس والروم ، وافتتحوا الشام والعراق ، ومصر والمغرب وخراسان وأذربيجان وغير ذلك . فلما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئاً ، بل طمع فيهم الروم وغيرهم .. وأريقت الدماء ، فأين ما بعد قتله مما قبله ؟؟

(م) فاذا قلت : إن أبا بكر ومبايعيه طلبوا الدنيا والرياسة .

(ت) (فالجواب أن أبا بكر) : بويع باختيارهم بلا سيف ولا عصا ، واستوسق له الأمر فلم يولّ أحداً من أقاربه ، ولا خلّف لورثته مالا ، وأنفق مالاً كثيراً في سبيل الله ، وأوصى الى بيت مالهم ما كان عنده ، حتى قيل : يرحمك الله أبا بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك ، وما قتل مُسلم على إمارته ، بل قاتل بالمسلمين المرتدّين والكفار ، فلما احتضر استخلف على الأمة القويّ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأمين العبقري (عمر) لا لقرابة ولا لنسابة ولا لدنيا ، بل اجتهد للمسلمين ، فحمدت فراسته وشكر نظره ، بالذي افتتح الأمصار ، ونصب الديوان وملأ بيت المال ، وعمّ الناس بالعدل ، مع ملازمته لهدي صاحبه وخشونة عيشه ، وعدم توليته أقاربه ، ثم ختم الله له بالشهادة » .

(م) نقلك عن أهل السنة : أن العبد لا تأثير له في الكفر والمعاصي :

(ت) نقل باطل ، بل جمهور من أثبت القدَر يقول : إن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وان له قدرة واستطاعة ، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية ، بل يقرّون بما دلّ عليه الشرع والعقل من أن الله يخلق السحاب بالرياح ، وينزل الماء بالسحاب ، وينبت النبات بالماء ، والله خالق السبب والمسبب .

(القول الثاني) ان الظلم مقدور لله منزه عنه كتعذيب الإنسان بذنب غيره ، كما قال تعالى : « ومن يعملْ من الصالحاتِ وهو مؤمن فلا يخافُ ظلماً ولا هضما » وهؤلاء يقولون : الفرق بين تعذيب الإنسان على فعله الاختياري وغير فعله الاختياريّ مستقرّ في فِطَرِ العقول ، ويقولون : الاحتجاج بالقدَر على الذنوب مما يعلم بطلانه بالعقل ، فان الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدَر أيضاً فالاحتجاج على فعل المعاصي بالقدر باطل باتفاق الملل والعقلاء ، وانما يحتج به مَن اتبع هواه كما قيل : أنت عند الطاعة قدَريّ وعند المعصية جبريّ ، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به ، ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش لم يحسن أن يلوم أحدٌ أحدا ، ولا أن يعاقب أحد أحدا .

(م) وذهب مَن عدا الإمامية والإسماعيلية الى أن الأنبياء والأئمة غير معصومين ، فجوّزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسهو والسرقة » .

(ت) ما ذكرته عن الجمهور في تجويز ذلك على الأنبياء (باطل) فانهم متفقون على عصمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الرسالة ، وطاعتهم واجبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إلاّ عند الخوارج ، والجمهور يجوزون عليهم الصغائر وانهم لا يُقرّون عليها . وأمّا عصمة الأئمة فنعم كما قال ، لم يقل بها إلاّ مَن ذكر ، وناهيك بقول عَرِيٍّ عن الحجة ، قالوا : إن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك من المصلحة واللطف ، قلنا : فهذا الغائب المنتظر المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف سواء كان ميتاً كما نقول ، أو حياً كما تزعمه الإمامية .. ثم لم يحصل بعده أحد من الاثني عشر له سلطان إلا علي كرم الله وجهه . ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف والمصلحة التي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم مما كان في زمانه من الفرقة والفتنة والقتال ، والله قد أمرنا بالردّ عند التنازع الى الله والرسول ، ولو كان للناس معصوم غير الرسول لَوَجّه الردّ اليه .

(م) وهم يرون القول بالقياس والرأي ، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه ، وحرّفوا أحكام الشريعة ، وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي (ﷺ) وأهملوا أقاويل الصحابة .

(ت) فالجواب أن هذا وارد عليكم ، فالزيدية تقول بالقياس ، ثم قوله : « أدخلوا في دين الله ما ليس منه » فهذا ليس في طائفة أكثر (من الإمامية) ... حيث قالوا « مرج البحرين » علي وفاطمة « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » الحسن والحسين « في امام مبين » علي « وآل عمران على العالمين » آل أبي طالب وسموا أبا طالب عمران ، « والشجرة الملعونة » بني أمية « أن تذبحوا بقرة » عائشة « لئن أشركت ليحبطنّ عملك » لئن أشركت بين أبي بكر وعمر ، ونحو ذلك مما وجدته في كتبهم ، ومن ثَمّ دخلت الإسماعيلية في تأويلات الواجبات والمحرّمات .

(م) وأحدثوا مذاهب أربعة ، وأهملوا أقاويل الصحابة !

(ت) متى كانت مخالفة الصحابة منكراً عندكم ؟ ومن الذي يخالف إجماع الصحابة نحن أو انتم ؟ ومن الذي كفّرهم وضلّلهم ؟ ... انه لم يكن في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العترة النبوية ـ بني هاشم ـ على عهد رسول الله (ﷺ) وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) من يقول بامامة اثني عشر ، ولا بعصمة أحد بعد النبي (ﷺ) ولا يكفر الخلفاء الثلاثة ، بل ولا من يطعن في إمامتهم . وأما المذاهب فان الأربعة لم يكونوا في وقت واحد . ولا كان فيهم من يقلد الآخر ، ولا من أمر الناس باتباعه ، بل كان كل منهم يدعو الى متابعة الكتاب والسنة ، ويرد على صاحبه ، وان قلت ان الناس اتبعوا الأربعة فهذا أمر اتفاقي .. والأربعة لم يخترعوا علماً لم يكن .. ثم لم يقل أهل السنة إن إجماع الأربعة حجة معصومة ، ولا أن الحق منحصر في قولهم ، وأن ما خرج عنه باطل .... ولا شك أن القياس فيه فاسد ، وليس يوجب بطلان جميعه ، كما أن وجود الموضوعات في المرويات لا يوجب بطلان جميع الحديث .

(لشيخ الإسلام رسالة في بيان القياس الصحيح والقياس الفاسد ، ولتلميذه الإمام شمس الدين بن القيم تحقيق واسع في ذلك ، وسبق لنا جمعها في كتاب عنوانه «القياس في الشرع الإسلامي» (الخطيب)

(م) ثم ذكر (أي ابن المطهر) حديث ابن عمر: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي ... الحديث» .

(ت) قلنا: ذا حجة عليكم ، فان لفظه «يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي» يعني اسمه (محمد بن عبد الله) لا (محمد بن الحسن) . ثم قد رُوي عن علي (رضي الله عنه) أنه من ذرية الحسن ، لا الحسين .

(م) فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال .

(ت) إن دعوى العصمة في هؤلاء لم يذكر عليها حجة إلا ما ادعاه من أنه يجب على الله أن يجعل للناس إماماً معصوماً ، ليكون لطفا ومصلحة في التكليف . وقد تبين فساد هذه الحجة من وجوه أدناها أن هذا ـ أي اللطف والمصلحة ـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مفقود لا موجود ، فانه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة ، ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلاّ المنتظر الذي قد علم بصريح العقل أنه لم ينتفع به أحد لا في دين ولا دنيا ، ولا حصل لأحد من المكلفين به مصلحة ولا لطف ، لكان هذا دليلاً على بطلان قولهم فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك ؟

(م) لم يتخذوا ما اتخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك والمعاصي .

(ت) كلام باطل ، فان علماء أهل السنة المعروفين بالعلم عند أهل السنة متفقون على أنه لا يُقتدى بأحد في معصية الله ، ولا يتخذ إماماً في ذلك ، وان أراد أن أهل السنة يستعينون بهؤلاء الملوك فيما يحتاج اليه في طاعة الله ، ويعاونونهم على ما يفعلون من طاعة الله ، فيقال له : ان كان اتخاذهم أئمة بهذا الاعتبار محذوراً ، (فالإمامية) أدخل منهم في ذلك [والنصير الطوسي شيخ المؤلف مثل واضح على استعانة علمائهم بالملوك الكفار والفجار . وإعانتهم والعمل في خدمتهم . وهو المسئول مع عدو الله ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد ، عن الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه الوثني هلاكو في أمة محمد (ﷺ) سنة ٦٥٥ عند استيلائه على عاصمة الإسلام بغداد بخيانة ابن العلقمي ومستشاره ، وتحريض هذا الفيلسوف) .

(م) ومنع أبو بكر فاطمة إرثها ، والتجأ الى رواية انفرد بها ، وكان هو الغريم لها ، لأن الصدقة تحل له ؟ لأن النبي (ﷺ) قال : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» على ما رووه عنه .

(ت) بل رواه ـ أي هذا الحديث ـ عن النبي (ﷺ) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن بن عوف والعباس ، وأزواج النبي (ﷺ) وأبو هريرة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

وقوله : كان الغريم لها : إن أبابكر لم يدع التركة لنفسه ، وإنما هي صدقة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لمستحقها . وأيضاً فتيقن الصحابة ، وأولهم علي رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) لا يورث ، ولهذا لما ولي علي الخلافة لم يقسم تركة النبي (ﷺ) ولا غيرها عن مصرفها ، وعموم آية الميراث قد خُصّ منه هذا ، وانه لا يرث الكافر ، ولا القاتل عمداً ، ولا العبد وغير ذلك . ثم إن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) قد أعطيا علياً وبنيه (رضي الله عنهم) من المال أضعاف ما خلّفه النبي (ﷺ) . وما خلّفه النبي (ﷺ) فقد سلمه عمر الى علي والعباس (رضي الله عنهم) بليانه ويفعلان فيه ما كان النبي (ﷺ) يفعله ، وهذا مما ينفي التهمة عن أبي بكر وعمر .

[لو كان إرثا لما كان مخصراً بفاطمة ، بل هو إرث زوجاته أمهات المؤمنين أيضاً ، فالذي وقع لفاطمة من أمر الإرث المزعوم وقع مثله لعائشة وحفصة وسائر أمهات المؤمنين ، ووقع مثله لعمه العباس . . . ومع ذلك فان ربع فدك وخمس خيبر أبيح لآل البيت يأكلون منه حاجتهم ، كما كانت الحال في حياته (ﷺ) والباقي صرف حيث كان يصرف النبي (ﷺ) ما زاد عن حاجته منه] .

(م) وأجمعوا على قتل عثمان !

(ت) إن الجمهور لم يأمروا بقتله ، ولا رضوه ، ولم يكن أكثر المسلمين بالمدينة ، بل كانوا بالأمصار ـ من بلد المغرب الى خراسان ، ـ ولم يدخل خيار المسلمين في ذلك ، وانما قتله طائفة من المفسدين في الأرض ، من أوباش القبائل ورؤوس الشر . وعن علي قال : اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل ، غاية ما يقال : انهم لم ينصروه ، وفتروا عن إعانته بما رأوه ، وما ظنوا أن الأمر يبلغ الى قتله .

ومن المعلوم أن المسلمين أجمعوا على بيعة عثمان ، وما أجمعوا على قتله ، فهلاّ كان الإجماع على بيعته حقا لتيقن الإجماع عليها ؟؟ . . . إن عثمان من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أعيان السابقين الأولين من المهاجرين ، من طبقة عليّ وطلحة والزبير ، وهو خليفة للمسلمين أجمعوا على بيعته ، بل لم يشهر في الأمة سيفا ولا قتل على ولايته أحدا [ولما جاء البغاة المدينة للبغي عليه ، كانت جيوش عثمان ، ورجال الكفاح من الصحابة كلهم في ميادين القتال في الغرب والشرق الى أعمال آسيا التي يحكمها السوفييت الروسيون الآن[1]] .

(م) ان النبي (ﷺ) لعن معاوية الطليق ابن الطليق ، وقال : إذا رأيتموه على منبري فاقتلوه .

(ت) هذا الحديث ليس في شيء من كتب الاسلام ، وهو عند الحفاظ كذب ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات . [وقد رآه الحسين وغيره من الصحابة على المنبر النبوي ، وصلّوا كلهم وراءه ، لأنه كان إمامهم ، وخليفةَ رسول الله فيهم] . وأما قولك الطليق ابن الطليق ، فما هذا بصفة ذم ، فإن الطلقاء غالبهم حَسُن إسلامُهم ، كالحارث بن هشام ، وابن أخيه عكرمة ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين . ومعاوية ممن حسن إسلامه ، وولاّه عمر بعد أخيه يزيد ، ولم يكن عمر والله ممن يحابي ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

ثم إن معاوية بقي على دمشق وغيرها عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ؛ ورعيته يحبونه لإحسانه وحسن سياسته وتأليفه لقلوبهم .

---

(١) دخل الروس على أيدي الصحابة الكرام في دين الله أفواجا . وقد لبّى مجمعنا العلمي دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م . واجتمعت أنا هناك باخواني المسلمين ، وصليت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا قثمَ ابن العباس (رضي الله عنهما) في سمرقند وشاهدنا جامع لينين كراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة « ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره » .
(محمد بهجة البيطار)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(م) وقاتل عليا وعلي عندهم رابع الخلفاء ، إمام حق ، وكل من قاتل إمام حق ، فهو باغ ظالم .

(ت) قلنا نعم ، والباغي قد يكون متأولاً معتقداً أنه على حق ، وقد يكون بغيه مركبا من تأويل وشهوة وشبهة ، وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يرد ، وإنا لا ننزه هذا الرجل ولا من هو أفضل منه عن الذنوب ، والحكاية مشهورة عن المسور بن مخرمة أنه خلا بمعاوية ، فطلب منه معاوية أن يخبره بما ينقمه عليه ، فذكر المسور أمورا ، فقال (أي معاوية) يا مسور ألك سيئات ؟ قال نعم . قال : أترجو أن يغفرها الله ؟ قال نعم ، قال : فما جعلك أرجى لرحمة الله مني ؟ وإني مع ذلك والله ـ ما خيّرت بين الله وبين سواه إلاّ اخترت الله على ما سواه ، ووالله لما أليه من الجهاد ، وإقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفضل من عملك ، وأنا على دين يقبل الله من أهله الحسنات ، ويتجاوز لهم عن السيئات » .

ثم أهل السنة تقول : الإمام الحق ليس معصوماً ، ولا يجب على الإنسان أن يقاتل معه كل من خرج عن طاعته . ولا أن يطيعه الإنسان فيما يعلم أنه معصية ، وأنْ يتركه أولى ، وعلى هذا ترك جماعة من الصحابة القتال مع علي لأهل الشام .

(م) إن معاوية قتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابة .

(ت) الذين قُتلوا من الطائفتين ، قتل هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء . وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون علياً ولا معاوية . وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلب لكفّ الدماء من أكثر المقتتلين ، لكن غُلبا فيما وقع . والفتنةُ اذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها .

(م) وتمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقد إمامة يزيد ، مع ما صدر عنه من قتل الحسين ، وسبي نسائه في البلاد على الجمال بغير قتب ، وزين العابدين مغلول» .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(ت) أما يزيد فلم يأمر بقتل الحسين ، باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب الى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق ، ولما أراد الحسين (رضي الله عنه) أن يخرج الى أهل العراق - لما كاتبوه كتباً كثيرة - أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر ، وابن عباس أن لا يخرج ، وغلب على ظنهم أنه يقتل ، حتى ان بعضهم قال : أستودعك الله من قتيل ، وقال بعضهم : لولا الشناعة لأمسكتك ، ومنعتك من الخروج . وهم بذلك قاصدون نصيحته ، طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين ، فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك ، إذ لم يكن في الخروج مصلحة ، لا في دين ولا في دنيا ، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله (ﷺ) حتى قتلوه مظلوماً شهيداً . (ثم) إن عنيت باعتقاد إمامة يزيد أنه كان ملِك وقته ، وصاحب السيف كأمثاله من المروانية والعباسية ، فهذا أمر متيقن ، وحكم يزيد على حوزة الاسلام سوى مكة ، فانه غلب عليها ابن الزبير ، وامتنع عن بيعة يزيد ، ولم يَدعُ إلى نفسه حتى بلغه موت يزيد ، وهذا معنى كونه إماماً ، وخليفة وسلطاناً ، وأما كونه بَرّاً أو فاجراً ، مطيعاً أو عاصياً ، فذاك أمر آخر ، فأهل السنة اذا اعتقدوا إمامة الواحد من هؤلاء : يزيد أو عبد الملك أو المنصور أو غيرهم ، كان بهذا الاعتبار . وكذلك كونه عادلا في جميع أموره مطيعا في جميع أفعاله ليس هذا اعتقاد أحد من المسلمين ، وكذلك وجوب طاعته في كل ما يأمر به ، وان كان معصية لله ليس هو اعتقاد أحد من المسلمين ، ولكن مذهب أهل السنة والجماعة أن هؤلاء يشارَكون فيما يُحتاج اليهم فيه من طاعة الله .

وكان قتل الحسين (عليه السلام) مما أوجب الفتن ، كما كان قتل عثمان (رضي الله عنه) مما أوجب الفتن ، وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي (ﷺ) من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في المعاش والمعاد ، وأنّ مَن خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد ؛ ولهذا أثنى النبي (ﷺ) على الحسن بقوله : (إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» ولم يُثنِ على أحد لا بقتال في فتنة ، ولا بخروج على أئمة ، ولا نزع يد من طاعة ، ولا بمفارقة الجماعة .

وقد ثبت في البخاري من حديث ابن عمر عن النبيّ (ﷺ) : «أول جيش يغزون القسطنطينية مغفور لهم» فأول من غزا القسطنطينية جيش يعثهم معاوية وعليهم ابنه يزيد ، وفيهم من سادات الصحابة أبو أيوب الأنصاري ، فحاصروها .

(م) وأما قوله (أي ابن المطهر) «السبي والحمل على جمال بلا أقتاب» .

(ت) (فالجواب) : ما استحلّت أمة محمد (ﷺ) سبي هاشمية ، وانما قاتلوا الحسين خوفاً منه ، ومن أن يزيل عنهم الملك . فلما استشهد فرغ الأمر ، وبعث بآله الى المدينة ، ولا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب ، وفاعله والراضي به مستحق للعقاب . لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه ، وقتل زوج أخته عمر ، وقتل زوج خالته عثمان .

(م) ومنها (أي من فضائل علي كرم الله وجهه) ما رواه أحمد بن حنبل أن أنساً قال لسلمان : سَلِ النبي (ﷺ) مَن وَصيُّه ؟ فسأله ، فقال : يا سلمان مَن كان وصيّ موسى ؟ قال : يوشع ، قال : فان وصيي ووارثي علي» .

(ت) هذا الحديث موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل . وأحمد قد صنّف كتاباً في فضائل الصحابة ، ذكر فيه فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجماعة من الصحابة ، وذكر فيه ما رُوي في ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

[نقل المامقاني في كتابهم تنقيح المقال (٢ : ١٨٤) عن محمد بن عمر الكشي ـ رأس علمائهم في الجرح والتعديل ، وأول من فتح لهم باب التأليف فيه ـ ما نصه : « وذكر أهل العلم أنّ عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ، ووالى علياً ؛ وكان يقول ـ وهو على يهوديته ـ في يوشع بن نون (وصي موسى) فقال في إسلامه في علي مثل ذلك » فهذا نصّ عنهم صريح صحيح بأن مخترع لقب (الوصي) لعلي هو عدو الله بن سبأ . وما دام خبر أنس عن سلمان مكذوباً من أساسه كما سترى ، فان الخبر اليقين هو الذي نقله المامقاني عن الكشي عن علمائهم أنّ صاحب الحق في هذا الاختراع هو ابن سبأ اليهودي .

وبذلك برّأ الله نبيه من هذه التهمة كما برأ صاحبيه أنساً وسلمان ، بل برأ الله آخر رسالاته من أن توصم بهذا الاحتكار الذي تكون فيه الأمة يتيمة مسلوبة التصرّف ، تحت أوصياء من البشر ، آخرهم لم يلد ولم يولد ، وهي .. من بعدُ تائهة ضائعة راسفة في قيودها بين الأمم ، بينما رسالة الإسلام جاءت لتحرير الإنسانية كلها ، وإطلاق العقول في الأخذ عن ينبوع هذه الهداية العظمى بالغة راشدة ليس عليها قيّم ولا وصي إلاّ هذا الشرع العالي القويم] .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net